Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٦

كانت المحاضرات التي كان يتحدث فيها هوسرل عن أزمة أوربا وعن إمكانية اختفاء الإنسانية الأوربية تؤلف وصيّته الفلسفية. لقد ألقاها في عاصمتين من عواصم أوربا الوسطى. ولهذه الصدفة دلالة عميقة: فالواقع أنه في أوربا الوسطى هذه ذاتها وللمرة الأولى في تاريخها استطاع الغرب أن يرى موت الغرب، أو على وجه التدقيق اقتطاع جزء منه عندما التهمت الإمبراطورية الروسية فرصوفيا وبودابست وبراغ. لقد ولدت هذه المصيبة من الحرب العالمية الأولى التي شنتها إمبراطورية هابسبورغ وأدت إلى نهاية هذه الإمبراطورية ذاتها وخلخلت إلى الأبد توازن أوربا المنهكة.

لقد مضى آخر الأزمنة الهادئة التي كان الإنسان لا يقاوم فيها سوى وحوش نفسه، أي أزمنة جويس وبروست. يأتي الوحش في روايات كافكا وهازيك وموزيل من الخارج ويسمى التاريخ؛ إنه لم يعد يشبه قطار المغامرين؛ إنه لا شخصي، عسير الإرادة، عسير الحساب، غير واضح ولا يفلت منه إنسان. إنها اللحظة (غداة حرب ١٩١٤) التي رأت فيها كوكبة كبار الروائيين في أوربا الوسطى وأدركت **المفارقات النهائية** للأزمنة الحديثة.

على أنه لا يجب أن نقرأ رواياتهم كنبوءة اجتماعية وسياسية شأن أرويل مبكراً. إن ما يقوله لنا أوريل كان يمكن أن يقال أيضاً (وربما بشكل أفضل) في مقال أو بحث نقدي. وبالمقابل، يكتشف هؤلاء الروائيون، لكي أستشهد مرة أخرى ببروخ «مالا يمكن سوى للرواية وحدها أن تكتشفه»: فهم يبيّنون كيف تُغيّر المقولات الوجوديّة كافة ضمن شروط «المفارقات النهائية» فجأة من معناها: ما هي **المغامرة** إذا